مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا
المجلد 08، عدد خاص: دور أوقاف المباني الحضرية والريفية وثائق وشهادات ص ص86ـ99
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

الجغرافية العمرانية الحضرية والريفية لمدينة المدية خلال العهد العثماني ودور وثائق الأوقاف في إبراز معالمها

Urban and Rural Geography of the City of Medea during the Ottoman era and the Role of Endowment (Waqfs) documents in highlighting its features

ودان بوغفالة♦، جامعة ابن خلدون، تيارت

ouddene.boughoufala@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 01/ 01/ 2025 تاريخ القبول: 2025/01/11 تاريخ النشر: 2025/03/31

الملخص باللغة العربية:

شكلت المصادر الأجنبية أحد أهم المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون في دراسة الجغرافيا الريفية والحضرية للمدن الجزائرية عموما ومدينة المدية خصوصا في العهد العثماني. حيث قدمت لنا هذه المصادر وصفا دقيقا وشاملا لا مثيل له في المصادر العربية ، وتناولت بالتفصيل البيئة الحضرية ومظاهرها ، والمرافق والمؤسسات المنتشرة فيها ، وأنشطة وعادات السكان داخل وخارج أسوار المدينة على مستوى المدينة. ولكن ، عجزت هذه المصادر في كثير من الأحيان عن تقديم تفاصيل أخرى لا تقل أهمية ، مثل الأنشطة السكانية وملكية العقارات ، وأسماء المواقع الجغرافية. ويمكن استكمال هذه الفجوات بالعودة إلى دراسة وثائق الوقف كمصادر تكميلية. ومن الجدير بالذكر أن المصادر الأجنبية تهيمن عليها النظرة الاستشراقية ، في حين تتميز وثائق الوقف بأنها وثائق قانونية لا تخضع لآراء من يكتبونها ، وتتمتع بمستوى عال من المصداقية تفتقر إليه المصادر الأجنبية والمحلية هي الأخرى.

♦ المؤلف المرسل

تكشف وثائق الأوقاف وأحكام القضاة المتعلقة بها عن الكثير من المعلومات الدقيقة حول كيفية تنظيم المدن والقرى ، وكيفية سير الحياة اليومية فيها ، وتشكل وثائق الأوقاف لمدينة المدية في العهد العثماني نموذجاً رائعاً ، وقد تم حفظ هذه الوثائق في مركز الأرشيف الوطني بالجزائر ، وفي مركز الأرشيف الخارجي بفرنسا. فإلى أي مدى يستطيع الباحث رسم ملامح الجغرافيا الحضرية والريفية لمدينة المدية في العهد العثماني من خلال وثائق الوقف؟ وإلى أي مدى يستطيع أن ينجح من خلال وثائق الوقف في سد ثغرات البحث والفجوات العميقة في المصادر التاريخية التي أرّخت للمدينة ، سواء المحلية أو الأجنبية ؟

الكلمات المفتاحية: الأوقاف ؛ المدية ؛ العهد العثماني ؛ العمران ؛ المحاكم الشرعية.

Abstract:

Foreign sources constituted one of the most important sources used by historians in studying the rural and urban geography of Algerian cities in general and the city of Medea in particular during the Ottoman era. These sources provided us with an accurate and comprehensive description that is unparalleled in Arab sources. They addressed in detail the urban environment and its manifestations, the facilities and institutions spread throughout it, and the activities and customs of the population inside and outside the city walls at the level of the city. However, they were often unable to provide other details that were no less important as population activities, real estate ownership and names of geographical locations. These gaps can be complete by returning to the study of endowment documents as complementary sources. It is worth noting that foreign sources are dominate by the orientalist view, while waqfs documents are distinguished by being legal documents that are not subject to the viewpoints of those who write them and enjoy a high level of credibility that other foreign and local sources lack.

Waqfs documents and judges' rulings related to them reveal a lot of precise information about how cities and villages were organized and how daily life took place in them. The waqfs documents of the city of Medea during the Ottoman period are a wonderful example. These documents are preserve in the National Archives Center in Algeria and in the overseas ِ Archives Center in France. To what extent can the researcher draw the features of the urban and rural urban geography of the city of Medea during the Ottoman period through endowment documents? To what extent can he succeed through the waqfs documents filling the research gaps and deep gaps in the historical sources that documented the city, both local and foreign**?**

Keywords: Waqfs ; Medea ; Ottoman era ; Urban ; El-Mahakim El-Sharîa

مقدمة:

أشارت المصادر الأجنبية إلى الجغرافية العمرانية الحضرية والريفية لمدينة المدية في العهد العثماني ، وجاءت معلوماتها في غاية الدقة ، وتضمنت وصفا شاملا لا نظير له في المصادر العربية. فتطرقت بالتفصيل إلى العمران ومظاهره ، والمرافق والمؤسسات المنتشرة به ، ونشاطات السكان وعاداتهم داخل سور المدينة وخارجه على مستوى الفحوص والأوطان ، بَيْد أنها عجزت في كثير من الأحيان عن تقديم تفاصيل أخرى لا تقل أهمية عمن أوردته ، وهي الثغرات التي يمكن سدها بالعودة إلى دراسة وثائق الأوقاف كمصادر مكملة.

وتحتوي عقود المحاكم الشرعية وخاصة عقود الأحباس وأحكام القضاة المتعلقة بها ، على عدة جزئيات هامة تفيد الباحثين وتقودهم إلى معرفة جوانب عديدة في تنظيم المدن والأرياف وطبيعة الحياة فيهما ، وهي المعطيات التي لا يمكن التوصل إليها بالبحث عنها في مضامين الكتب. من ذلك على سبيل المثال ، أسماء الأبواب والأحياء والمساجد والأضرحة ومُلاَّك المرافق وأمناء الحرف ، وموقع المقاهي والفنادق والحوانيت والأفران

والمزارع (الحوش)، وهو ما يتجسد في مثال الوثائق التي تعني مدينة المدية خلال العهد العثماني.

- القصبة وسور المدينة: الأصالة التاريخية

بنيت المدية على ربوة مرتفعة ، وهي مائلة في الشرق وشديدة الانحدار في الغرب والشمال1. وكانت القصبة بها بناية ضخمة ، مربعة الشكل وتحتوي على عدة محلات تجارية2 ، أنشأها الأتراك في أعلى قسم من المدينة ولم يقيموا بها تحصينات ، وحولها الفرنسيون عام 1840م إلى مستشفى وثكنات للجند3.

أما السور فكان يحيط بالمدينة بكاملها ، وكان مبنيا من الحجارة على ارتفاع معتبر ، به خمسة أبواب ، يقع اثنان منها في الشمال4 ، بينما تتوزع الأبواب الثلاثة الباقية في الجنوب وفي الشرق والغرب. ووضعت فوق هذه الأبواب فتحات رمي كان الحراس يستخدمونها لتسديد نيرانهم صوب من يهاجمهم.5 ويبدو أن هذا السور جُدد وأقيم على أنقاض سور قديم ، فالجهة الغربية منه كانت تحتفظ ببقايا متميزة في الجدار لسور ضخم بني بخرسانة صلبة للغاية6. وتدل الثقوب الموجودة به على خط أفقي وفي مستويات مختلفة حسبما وقف على ذلك أحد الضباط الفرنسيين ، على أنه بني بخليط من الرمل والكلس واسمنت شديد الصلابة وممزوج بالحصى الصغيرة.7

1 Oscar MAC CARTHY, Dictionnaire géographique, économique et politique de l'Algérie ancienne et moderne, Dubos frères, Alger, 1858, p. 354.
2 M. ROZET, Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays par l'armée française en Afrique, 3 T., Paris, Arthus Bertrand, 1833, T.III, p.228
3 MAC CARTHY, op. cit., p. 354.
4 ROZET, op. cit., T.III, p. 230.
5 Ibid, T.III, pp. 230-231.
6 Louis PIESSE, Itinéraire historique de l'Algérie, de la Tunisie et de Tanger, Hachette, Paris, 1882, p. 104
7 ROZET, op. cit., T.III, p. 232.

وقد يتفق الباحثون على أن بناء هذا السور ليس حديثا ، وذلك مما تؤيده الشواهد المذكورة ، غير أنه لا يمكن الجزم بأي حال من الأحوال بأنه من بناء الرومان ، فشعوب كثيرة عبر التاريخ عرفت بناء الأسوار حول المدن للدفاع عنها. لقد بنى البربر مثلا في الجزائر المدن المغلقة والقصور المحصنة في جبال الأطلس قبل قدوم الرومان8.

- الأبواب والشوارع: الحيوية والتواصل

كان يوجد من جهة القناة الخارجية بابان للدخول إلى المدية ، أحدهما يقع بالقرب من الحصن العسكري والآخر يقع في الأسفل على اليسار يحاذي الطريق. وكانت هذه الأبواب عريضة لكنها غير مرتفعة ، وذات قباب دائرية ومغطاة بالقرميد المقعر. ولم تُسَمِّ الوثائق من الأبواب التي كانت معروفة بالمدية سوى باب الأقواس وباب السويقة وباب سيدي الصحراوي9، وهي أبواب داخلية باستثناء هذا الأخير ، حيث أن المصادر الفرنسية تعتبره أحد الأبواب الخمسة التي كانت منتشرة على السور المحيط بالمدينة ، وهي باب الجزائر وباب الناظور وباب مليانة وباب سيدي الصحراوي وباب الجْنان 10.

وكان مدخل المدينة من الطريق يؤدي إلى شارع عريض على جانبيه أرصفة صغيرة وقناة قوية. وكان هذا الشارع يشق المدينة باتجاه الطول وتتصل به عدة شوارع أخرى صغيرة مزودة بأرصفة وبها قنوات في الوسط11 ، وما كانت تتميز به شوارع المدية العثمانية مقارنة بغيرها هو أنها كانت عريضة وقليلة الالتواء12 ، وما إن دخل الفرنسيون إلى المدينة حتى غيروا وجهها ، وذلك باستحداث ساحات وشوارع جديدة13.

وتشير بعض الدراسات أن المدينة كانت ولمدة طويلة مقسمة إلى قسمين منفصلين عن بعضهما البعض ، ولم يكن الحاجز بينهما بناء ولا أبوابا وإنما هو المنحدر

8 Idem.
9 Archives d'Outre-Mer (A.O.M.), 1MI, bobine 66.
10 PIESSE, op. cit., p. 105.
11 ROZET, op. cit., T.III, p. 225.
12 Arsène BERTEUIL, L'Algérie française, histoire, moeurs, coutumes, industrie et agriculture, Dentu, Paris, 1856, T. I, p. 236.
13 PIESSE, op. cit., p. 105.

الشديد الذي يقع بينهما. فشكل القسم الأول المدينة العليا التي كانت تقع في أعلى التل ، وشكل القسم الثاني المدينة السفلى التي كانت تقع في أسفله.14

- المحلات التجارية والأسواق: الحركية التجارية

كانت معظم المحلات التجارية منتشرة في الشارع الرئيسي للمدينة الذي يمتد من الشمال إلى الوسط ، تجتمع معظمها في نهاية الشارع الضيقة وكانت للبيع بالتجزئة15. وهي على شاكلة مثيلاتها في مدينة الجزائر ، غير أن بعضها كان ضيقا وواطئا16 ، وأكثرها كان بيد اليهود يبيعون فيها التوابل والتبغ17 ، ولا شك أن بعضها كانوا يستأجرونه من الأوقاف التي زاد عدد محلاتها في مدينة المدية عن العشرين محلا18. وكان لمدينة المدية سوق أسبوعية دورية يعقد كل يوم جمعة ، يراقبه حرس الحاكم ويتردد عليه عدد كبير من أبناء القبائل المجاورة19.

وبموجب القانون الذي كان يحكم هذه السوق ، كان يتوجب على القوافل التجارية المحملة بالبضائع أن تدفع رسوم المكوس "القمرق" عند خروجها من المدينة. حيث كانت تتردد على سوق المدية القوافل القادمة من الصحراء ومن مدينة الجزائر ، وتعرض به منتجات الصحراء ومنتجات شمال الجزائر وأوربا. وكان يتولى تحصيل هذه الرسوم جباة يعينهم قايد الرحبة الذي يستأجر السوق ، وحجم الحمولة هو الذي يحدد قيمة الرسم ، إذ كان رسم حمولة الجمل يزيد تقريبا بنسبة النصف عن حمولة البغل

14 Ministère de la guerre, Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie, T. 184, p. 18.
15 BERTEUIL, op. cit., T. I, p. 236.
16 Louis VEUILLOT, Les Français en Algérie, souvenirs d'un voyage fait en 1841, A. Mame, Tours, 1847, p. 239.
17 ROZET, op. cit., T.III, p.227
18 A.O.M., 1MI, bobine 66.
19 M. URBAIN, «Notice sur l'ancienne province de Titteri », in Tableau de la situation …, op. cit., T. 1843-1844, p. 399.

وبنسبة الضعف عن حمولة الحمار ، وعندما تجمع سلع هذه الرسوم العينية تباع للتجار اليهود والميزابيين بسعر يحدده الباي.20

- المقاهي والفنادق والأفران: وفرة الخدمات

غير بعيد عن المحلات التجارية وفي الساحة القريبة منها ، كان يوجد مقهى أندلسيا جذابا يشتمل على عدة صفوف من المقاعد المصنوعة من الحجارة ، تتدفق بوسطها نافورة نالت إعجاب من رآها من الفرنسيين. وكانت تعرف إحدى مقاهي المدينة بمقهى الحاكم ، تقع أسفل الجامع الأعظم وكان يتردد عليها البايات ، ومن الصعب تحديد ما إذا كان هذا المقهى ملكا لحاكم بعينه أو كان من أملاك البايلك21. وربما كان هذا هو المقهى الذي عقد فيه المجلس العلمي بالمدية بعض جلساته القضائية للفصل في النزاعات كما ورد ذلك في بعض الوثائق الوقفية22.

وبعيدا عن هذا المقهى أقيم الفندق الذي كانت تأوي إليه القوافل التجارية القادمة من الصحراء23 ، وكان على درجة كبيرة من التنظيم وحسن البناء مقارنة بفنادق مدينة الجزائر ، وقد اشتمل على إسطبل للخيول ، وكان هناك فندق آخر يعرف بفندق سائس الباي يقع قرب باب سيدي الصحراوي24. وتشير بعض عقود الأحباس أن الباي الحاج عثمان قد اشترى عام 1149هـ/1736م الفندق الذي كان يقع أسفل باب الأقواس وزاد في بنائه25.

---

20 Henri FEDERMANN et Henri AUCAPITAINE, « Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri », in R.AF. n° 11, 1867, pp. 213-214.

21 Ibid, in R.AF., n° 9, 1865, p. 296.

22 الأرشيف الوطني الجزائري (أ.و.ج)، سجلات المحاكم الشرعية (س.م.ش)، علبة (ع).46-1 ، وثيقة (و). 13.

23 BERTEUIL, op. cit., T. I, p. 236.

24 FEDERMANN et AUCAPITAINE, op. cit., in R.AF., n° 9, 1865, p. 289.

25 أ.و.ج ، س.م.ش ، ع.47-2 ، و. 17.

وانتشر بوسط مدينة المدية عدد كبير من الأفران ، وكانت نيرانها تظل مشتعلة طيلة النهار لطهي الخبز الذي يحمله السكان إليها26 ، ومنها الفرن الذي كان مخصصا لطحين الزرع وباعه علي كردغلي باي التيطري إلى أمير علي الصبايحي عام 1177هـ/1763م27 ، والفرن الذي حَبَّسه قبل هذا التاريخ الحاج محمد بن معمر اللمداني عام 1145هـ/1733م تحبيسا أهليا مرجعه أوقاف الحرمين الشريفين ، وكان يقع بحومة قاع السور ومخصصا هو الآخر لطحن الحبوب28.

- النشاطات الحرفية: فنون وإبداع

انتشرت بالمدية حرف ونشاطات صناعية عديدة ؛ كحرفة النجارة والحدادة29 والدباغة والحياكة وصناعة الأحذية ومعالجة المواد الغذائية ، وكان يحكمها تقريبا نفس النظام الذي كان سائدا في مدينة الجزائر.30 وكان سوق الخياطة وسوق الخرازين داخل سور المدينة يعرفان حيوية تجارية وتحيط بهما الحوانيت ، ولذلك ورد ذكرهما في الوقفيات كمعالم عند تحديد العقارات الموقوفة31.

كان الإسكافيون في المدينة أقل عددا مقارنة بعدد أمثالهم في مدينة البليدة ، بينما كان الدباغون أكثر منهم على ما يظهر ، وقد وضع بعضهم قرب ساحة السوق أواني ضخمة بداخل الأرض معبئة بالجلود ومادة الدباغة (قشر شجر البلوط)، بينما خصص آخرون محلات خاصة بذلك مثلما فعل الحاج محمد بن معمر32. واشتهر النساجون بصناعة ملابس الرجال والنساء مثل "البرنوس" التقليدي و"الحايك" النسوي ومنسوجات أخرى من القطن والكتان. وكان الناس في الطرقات وفي المقاهي يحيكون

---

26 ROZET, op. cit., T. III, pp. 240-241.

27 أ.و.ج ، س.م.ش ، ع.37-2 ، و. 56.

28 A.O.M., 1MI, bobine 66.

29 كانت بعض محلات الحدادة تقع خارج سور المدية ، انظر:
أ.و.ج ، س.م.ش ، ع.37-2 ، و. 53.

30 ROZET, op. cit., T. III, p. 238.

31 أ.و.ج ، س.م.ش ، ع.28-1 ، و. 75.

32 A.O.M., 1MI, bobine 66.

الصوف بالإبر ، لصناعة جوارب شتوية ممتازة في مستوى ما كان ينتجه الأوربيون في النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي بشهادة هؤلاء أنفسهم.33

وعلاوة على هذا ، عرفت المدينة أيضا صناعات أخرى متنوعة كانت تخص المواد الغذائية ، تمثلت في طحن القهوة وتقشيط التبغ وعصر الخمور وتجفيف العنب وصنع المربى. ونالت هذه المصنوعات رواجا كبيرا حتى في المدن الأخرى ، مثل رغيف الخبز الداكن المحشو باللوز الذي كان ينقل إلى مدينة الجزائر ليباع في محلاتها ، ولم يجد منافسة سوى من الذي كان يُنْتَجُ في مليانة. وقد عُرِف هذا الطعام باسم "علوات" ، وكان يُحضر من عجينة القمح وحبات اللوز المجموعة بخيط وعصير العنب الذي يُطهى فيه.34

ويكشف الجدول الآتي عن بعض الحرف التي كان يتعاطاها سكان المدية ، وقد تم التعرف عليها من خلال ما أوردته عقود المحاكم الشرعية التي عادة ما تُلحق المهنة باسم الشخص الذي تذكره لسبب ما يكون له علاقة بالوقف.

"جدول عن بعض الحرف في مدينة المدية وضواحيها مستخرج من الوثائق "

اسم الشهرة	الحرفة	مصدر وثيقة التحبيس أ.و.ج ، س.م.ش.
أبو عمرة بن الجودي	برادعي	ع.34 ، و.3.
أحمد بن قانباري	بَنَّاء	ع.34 ، و.36.
محمد بن هلال	أمين النجارين	ع.34 ، و.59.
قويدر بن الزراو	أمين النجارين	ع.34 ، و.77.

33 ROZET, op. cit., T. III, p. 236, p. 238.
34 Ibid, T. III, p. 239.

الحاج محمد	أمين الدباغين	ع.34، و.89.
الحاج أحمد بن نويوة	صبَّان	ع.34، و.145 مكرر.
محمد بن الجيكوا الأندلسي	نجار	ع.52، و.20.
محمد بن التلمساني	الحفَّاف	ع.52، و.26.
المعلم حسن التلمساني	عرّاج	ع.52، و.26.
المعلم محمد عيسى	فخارجي	ع.52، و.56.
الحاج يحي بن ابوازير	حداد	ع.52، و.110.
بن طيبة	حمامجي	ع.52، و.137.
محمد بن سفار	بزاز	ع.52، و.140.

- الفحوص وأوطان البادية: زراعة مزدهرة وصنائع متنوعة

تتكون الفحوص في المدية من التلال التي تحيط بالمدينة ، وهي عبارة عن حقول مزروعة وأشجار للعنب الممتاز35 الذي اشتهرت به36، وتمتد خارج السور على طول يبلغ حوالي كيلومترين (نصف فرسخ) باتجاه الشمال والجنوب والشرق.37 وتعتبر التكوينات

35 VEUILLOT, op. cit., p. 239.
36 Tableau de la situation … op. cit., T. 1840, p. 18.
F. GOMOT, Annuaire de l'Algérie, 2ème partie, Imp. Maulde, Paris, 1842, p. 241.
37 ROZET, op. cit., T. III, p. 241.

الرملية المنتشرة في فحص المدينة ، من العوامل الرئيسية التي زادت في خصوبة التربة وجعلتها خفيفة ومناسبة لذلك النوع من المحاصيل38.

واشتهرت هذه الفحوص بانتشار الأوقاف بها ، وكان الواقفون يذكرونها في وقفياتهم ، ويميزون بينها وبين غيرها بالاسم وبعبارة "خارج السور أو خارج البلد" عندما يحددون العقارات المحبسة39.

- المطاحن:

لا تختلف عن مطاحن مدينة الجزائر ، ولا عن تلك التي كانت معروفة بإسبانيا40 ، وكان يتم تشتغيل بعضها بواسطة الخيول وقد بنيت محلاتها على سور المدينة من جهة الجنوب. وحيث كانت توجد هناك مطحنة مائية صغيرة41 كتلك التي كان يملكها مصطفى باي التيطري ببعرورة أسفل القنطرة42.

وكان القائمون على هذه المطاحن يلجئون عند تشغيلها إلى حجب الرؤية عن الحصان ، وذلك بوضع قطعة من القماش على عينيه ، حتى يتسنى له أن يدور عدة مرات حول عمود خشبي أفقي مثبت على قطعة من اللوح تحمل عجلة مسننة. وتتشابك هذه العجلة مع دولاب آخر مسنن ، بحيث يكون محور المدار مستقرا على رحى من الحجر لا يتجاوز عرضها مترا واحدا تدور على رحى أخرى مجوفة لكي لا يسقط الطحين على الأطراف. ولا تشتمل الرحى على أسطوانة خشبية ، فالقسم السفلي الثابت يحمل فوهة مخروطية الشكل يجتمع فيها الطحين ومنها ينزل إلى الصندوق المخصص له. وكان المذود43 يعلق على عمود ويحمل لوحا في عنقه يحتك بالدولاب ، ويحدث حركة تذبذبية

---

38 G. Gran DIDIER et Autres, Atlas des colonies françaises, protectorats et territoires sous mandat de la France, S. E. G. M. C., Paris, 1934, p. 30.

39 لا تحدد الوثائق أحيانا هذه الفحوص.

40 ROZET, op. cit., T. III, p. 98.

41 Ibid, T. III, p. 240.

42 أ.و.ج ، س.م.ش ، ع.52 ، و. 8.

43 المذود هو الأداة التي يوضع فيها القمح ومنها ينسكب إلى الرحى

قوية تسقط الحبوب في فوهة الرحى العليا ، وتحرك العجلة المسننة المصفاة لعزل نخالة الطحين44.

علاوة على هذه المطاحن ، كانت كل العائلات تقريبا تملك مطاحن أخرى يدوية ذات استعمال منزلي ، تستخدمها لطحن كمية الحبوب التي تحتاجها لإطعام أفرادها. وتتكون المطحنة المنزلية من قطعتين من الحجر ، توضع إحداهما فوق الأخرى ، على أن تثبت القطعة السفلى وتحرك العليا باليد من خلال مقبض بها ، وعملية الطحن هي عادة من اختصاص النساء في البيوت.45

- المساكن الريفية:

انتشرت على يسار مدينة المدية مساكن ريفية تقع وسط حقول الكرم والبساتين المحاطة بسياج ، وكانت هذه المنازل مبنية بالحجارة وسقفها مغطى بالقرميد المقعر.46 ولم يكن سكان المدينة يملكون إلا عددا قليلا من قطعان الغنم ، وكانوا يعتمدون على الفلاحة وثروتهم هي في الحقول والبساتين خاصة تلك التي تقع جنوب المدينة47. وهي تنتج بوفرة نوعا ممتازا من الخضار ، وتعطي كذلك إنتاجا معتبرا من الحبوب كالقمح والشعير48.

- أوطان البادية:

وتتمثل أوطان البادية في التلال الجافة المغطاة بالأشواك التي تمتد خلف إقامة الباي وفي القسمين الشرقي والجنوبي منها ، والتي كانت تنتشر بها عدة منازل صغيرة تحفها مساحات محروثة. وحسب شهادة المهندسين الجغرافيين الذين رافقوا الحملة الفرنسية على المنطقة في شهر جوان 1831م بقيادة برتزان (Berthezène)، فإن هذه

44 ROZET, op. cit., T. III, pp. 98-99.
45 Ibid, T. III, p. 240.
46 Ibid, T.III, p. 224.
47 Dr. BAUDENS, «Relation de l'expédition de Médéah », Pub. par Victor Demonès, in R.H.C.F., pp. 239-240.
48 ROZET, op.cit., T.III, pp. 239-240.

الجهات الخلفية كانت تعج بالمزارع والحدائق العامرة بالأشجار الرائعة ، والتي تشابكت أغصانها بأشجار الكروم الممتلئة بالعنب.49

وكانت القبائل البربرية تسكن الجبال المحيطة بالمدية على مسافة حوالي أكثر من أربعين كيلومتر ، وكانت تتحرك دوما لغزو المناطق المجاورة50. وهذا على الرغم من خصوبة الأراضي التي كانت تشغلها ، وغناها بمادة الخشب المطلوبة كثيرا كحطب وكمادة صناعية للحرفيين51.

إن العودة إلى وثائق الأوقاف في البحث التاريخي تقودنا إلى إحياء التراث الإسلامي في المدن ، فهي تمكننا من التعرف على المنشآت العمرانية ومواقعها ، لا سيما وأن الاستعمار الفرنسي قد عمد منذ البداية إلى تشويه المدن وطمس معالمها العمرانية الحضارية. وهذه المهمة تقع على عاتق الجميع ، ولا يستثنى منها أحد من الباحثين ، يتناولها كل حسب اختصاصه وإشكالياته البحثية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الأرشيف:

الأرشيف الوطني الجزائري ، سجلات المحاكم الشرعية ، العلب (ع):
ع. 28-1 ، و. 75 ؛

ع. 37-2 ، و. 53 ؛
ع. 37-2 ، و. 56 ؛
ع. 46-1 ، و. 13 ؛
ع. 47-2 ، و. 17 ؛
ع. 52 ، و. 8.

Archives d'Outre-Mer (A.O.M.), France, 1MI, bobine 66.

المصادر والمراجع المطبوعة:

49 Ibid, T.III, p. 242-243.
50 Ibid, T.III, p. 244.
51 Eugène PELLISSIER DE REYNAUD, Annales algériennes, J. Dumaine, Paris, 1854, T. I, p. 135.

BAUDENS Dr., «Relation de l'expédition de Médéah », Pub. par Victor Demonès, in R.H.C.F., pp. 239-240.
BERTEUIL Arsène, L'Algérie française, histoire, moeurs, coutumes, industrie et agriculture, Dentu, Paris, 1856, T. I.
DIDIER G. Gran et Autres, Atlas des colonies françaises, protectorats et territoires sous mandat de la France, S. E. G. M. C., Paris, 1934.
FEDERMANN Henri et AUCAPITAINE Henri, « Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri », in R.AF. n° 11, 1867, pp. 213-214.
GOMOT F., Annuaire de l'Algérie, 2ème partie, Imp. Maulde, Paris, 1842.
MAC CARTHY Oscar, Dictionnaire géographique, économique et politique de l'Algérie ancienne et moderne, Dubos frères, Alger, 1858.
Ministère de la guerre, Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie, T. 184.
PELLISSIER DE REYNAUD Eugène, Annales algériennes, J. Dumaine, Paris, 1854, T. I.
PIESSE Louis, Itinéraire historique de l'Algérie, de la Tunisie et de Tanger, Hachette, Paris, 1882.
R.AF., n° 9, 1865.
ROZET M., Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays par l'armée française en Afrique, 3 T., Paris, Arthus Bertrand, 1833, T.III.
VEUILLOT Louis, Les Français en Algérie, souvenirs d'un voyage fait en 1841, A. Mame, Tours, 1847.